تفسير ابن كثير

لما اتهمهم أولئك الفتيان بالسرقة قال لهم إخوة يوسف { تا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين } أي لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة أنا { ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين } أي ليست سجايانا تقتضي هذه الصفة فقال لهم الفتيان { فما جزاؤه } أي السارق إن كان فيكم { إن كنتم كاذبين } أي : أي شيء يكون عقوبته إن وجدنا فيكم من أخذه ؟ { قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين } وهكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام أن السارق يدفع إلى المسروق منه وهذا هو الذي أراد يوسف عليه السلام ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه أي فتشها قبله تورية { ثم استخرجها من وعاء أخيه } فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم وإلزاما لهم بما يعتقدونه ولهذا قال تعالى : { كذلك كدنا ليوسف } وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه ا ويرضاه لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة .

وقوله : { ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك } أي لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر قاله الضحاك وغيره وإنما قيض ا له أن التزم له إخوته بما التزموه وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ولهذا مدحه ا تعالى فقال : { نرفع درجات من نشاء } كما قال تعالى : { يرفع ا الذين آمنوا منكم } الاية { وفوق كل ذي علم عليم } قال الحسن البصري : ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى ا D وكذا روى عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الأعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير قال : كما عند ابن عباس فحدث بحديث عجيب فتعجب رجل فقال : الحمد فوق كل ذي علم عليم فقال ابن عباس : بئس ما قلت : ا العليم فوق كل عالم وكذا روى سماك عن عكرمة عن ابن عباس { وفوق كل ذي علم عليم } قال : يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا وا فوق كل عالم وهكذا قال عكرمة وقال قتادة : وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلى ا منه بدء وتعلمت العلماء وإليه يعود وفي قراءة عبد ا وفوق كل عالم عليم